الحَمدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، نَحمَدُهُ جَمِيعًا أَن جَعَلَنَا خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ، وَامتَنَّ علَينَا أَن هَدَانَا لِتَعظِيمِ شَعَائِرِ دِينِهِ؛ فَقَالَ - تَعَالَى-: "*وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ*" [الحج: ٣٢]، لَاسِيَمَا أَنَّ المَسجِدَ الأَقصَى أُولَى القِبلَتَينِ، وَثَالِثُ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا محمدٍ صلى الله عليه وسلم، الَّذِي شَرَّفَهُ رَبُّهُ عزَّ وجلَّ وَأَعلَى شَأنَهُ، وَاصطَفَاهُ؛ فَخَاطَبَهُ بِأَنَّهُ عَبدُ اللَّهِ فِي قَولِهِ: "*سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا* " [الإسراء: ١].

- فَضِيلَةَ الإِمَامِ الأَكبَرِ أ.د/ أَحمَد الطَّيِّبِ - شَيخِ الأَزهَرِ الشَّرِيفِ.

- السَّادَةُ الحُضُورُ الكِرَامُ.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أَوَّلًا: أَتَقَدَّمُ بِخَالِصِ الشُّكرِ وَالتَّقدِيرِ وَالاِمتِنَانِ إِلَى فَضِيلَةِ الإِمَامِ الأَكبَرِ الدُّكتُورِ/ أَحمَدِ الطَّيِّبِ - شَيخِ الأَزهَرِ الشَّرِيفِ عَلَى دَعوَتِهِ لِعَقدِ هَذَا المُؤتَمَرِ فِي هَذَا الظَّرفِ العَصِيبِ الَّذِي تَمُرُّ بِهِ أُمَّتُنَا الإِسلَامِيَّةُ؛ حَيثُ تُوَاجِهُ أَخطَرَ وَأَصعَبَ اِمتِحَانٍ فِي تَارِيخِهَا المُعَاصِرِ، أَعنِي المُؤَامَرَةَ عَلَى سَلبِ العَرَبِ وَالمُسلِمِينَ حَقَّهُم التَّارِيخِيَّ وَالدِّينِيَّ فِي القُدسِ الشَّرِيفِ كَعَاصِمَةٍ تَارِيخِيَّةٍ لِجُزءٍ عَزِيزٍ مِن الأُمَّةِ؛ أَلَا وَهُوَ دَولَةُ فِلِسطِينَ العَرَبِيَّةُ المُجَاهِدَةُ الصَّابِرَةُ المُحتَسِبَةُ، وَلَيسَ مِن غَرِيبٍ وَلَا جَدِيدٍ عَلَى مِصرَ، وَلَا الأَزهَرِ الشَّرِيفِ، وَلَا عَلَى الحَضَارَةِ الإِسلَامِيَّةِ أَن تَحتَضِنَ مِثلَ هَذِهِ المَحَافِلِ المُبَارَكَةِ لِنُصرَةِ الأَقصَى الشَّرِيفِ، وَلَيسَ غَرِيبًا عَن الإِمَامِ الأَكبَرِ أَن يَهُبَّ دِفَاعًا عَنِ المُقَدَّسَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالحُقُوقِ التَّارِيخِيَّةِ؛ فَالأَزهَرُ الشَّرِيفُ كَمُؤَسَّسَةٍ دِينِيَّةٍ عَالَمِيَّةٍ عَرِيقَةٍ دَائِمًا مَا تَكُونُ عَلَى مُستَوَى آلَامِ وَآمَالِ وَطُمُوحَاتِ أُمَّتِنَا الإِسلَامِيَّةِ وَالعَرَبِيَّةِ.

أَيُّهَا الجَمعُ الكَرِيمُ:

لَا شَكَّ أَنَّ قَضِيَّةَ القُدسِ الشَّرِيفِ- لَا زَالَت ولا تَزَالُ- تُمَثِّلُ القَضِيَّةَ الأُولَى لِأُمَّتِنَا العَرَبِيَّةِ وَالإِسلَامِيَّةِ، وَهِي قَضِيَّةُ مَصِيرِ أُمَّةٍ بِأَكمَلِهَا، وَلَم تَكُن يَومًا مَا قَضِيَّةَ شَعبٍ بِعَينِهِ، وَيَترَتَّبُ عَلَيهِ أَنَّ التَّفرِيطَ أَو التَّهَاوُنَ فِي قَضِيَّةِ القُدسِ الشَّرِيفِ يُعَدُّ خِيَانَةً لَا يُمكِنُ لِفَردٍ وَلَا لِأُمَّةٍ أَن تَتَحَمَّلَ تَبَعَاتِهَا الدِّينِيَّةَ

أَو التَّارِيخِيَّةِ أَمَامَ اللهِ- سُبحَانَهُ وَتَعَالَى - وَأَمَامَ الشُّعُوبِ، وَلَن يَحدُثَ ذَلِكَ إِن شَاءَ اللهُ-تَعَالَى-.

الإِخوَةُ الكِرَامُ:

دَعُونِي أُحَدِّثُكُم حَدِيثًا مُختَصَرًا عَن مَكَانَةِ القُدسِ فِي حَضَارَتِنَا العَرَبِيَّةِ وَالإِسلَامِيَّةِ، وَلِمَاذَا تُعَدُّ هَذِهِ القَضِيَّةُ ثَابِتَةً مِن ثَوَابِتِ الإِسلَامِ، فَالحَفرِيَّاتُ وَالوَثَائِقُ وَالبَحثُ التَّارِيخِيُّ الَّذِي اِعتَرَفَت بِهِ جَامِعَاتُ وَمَرَاكِزُ البَحثِ العِلمِيِّ العَالَمِيَّةِ؛ لِتُؤَكِّدَ أَنَّ مَدِينَةَ القُدسِ مَدِينَةٌ عَرَبِيَّةٌ أَسَّسَهَا اليُبوسِيُّونَ العَرَبُ، وَهُم مِن العَرَبِ الكَنعَانِيِّينَ الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، وَبَنَوا فِيهَا القُدسَ الخَالِدَةَ مُنذُ أَكثَرَ مِن خَمسَةِ آلَافِ عَامٍ قَبلَ المِيلَادِ.

وَلَمَّا جَاءَ الإِسلَامُ دِينًا حَنِيفًا يَدعُو إِلَى الإِيمَانِ بِاللَّهِ -تَعَالَى لَا شَرِيكَ لَهُ- وَإِلَى اِحتَرَامِ جَمِيعِ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ، لَاسِيَّمَا إِبرَاهِيمُ وَعِيسَى وَمُوسَى -عَلَيهِم جَمِيعًا السَّلَامُ-، جَاءَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ- عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -بِدَعوَةِ السِّلمِ وَالسَّلَامِ؛ لِيُؤَكِّدَ عَلَى أَنَّ دَعوَتَهُ الشَّرِيفَةَ تَنبَثِقُ مِن الأَصلِ الَّذِي دَعَا إِلَيهِ جَمِيعُ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ؛ أَلَا وَهُوَ تَوحِيدُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، وَكَذَلِكَ دَعوَةُ جَمِيعِ الأُمَمِ إِلَى العَدلِ وَالتَّسَامُحِ وَمَكَارِمِ الأَخلَاقِ، فَقَالَ -تَعَالَى-: " آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ" [البقرة: ٢٨٥].

وَلِأَجلِ هَذَا المَعنَى تَوَجَّهَ المُسلِمُونَ فِي بِدَايَةِ أَمرِهِم فِي صَلَاتِهِم إِلَى المَسجِدِ الأَقصَى تَأكِيدًا عَلَى وحدَةِ الدَّعوَةِ وَالرِّسَالَةِ، فَالمِشكَاةُ الَّتِي اِستَنَارَ بِهَا سَيِّدُنَا مُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِم جَمِيعًا- هِيَ مِشكَاةٌ وَاحِدَةٌ، تُخرِجُ نُورًا وَاحِدًا؛ هُوَ نُورُ التَّوحِيدِ، فَجَمِيعُ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ إِخوَةٌ، أَصلُهُم وَاحِدٌ، وَدَعوَتُهُم وَاحِدَةٌ، وَشَرَائِعُهُم مُختَلِفَةٌ بِحَسَبِ الزَّمَانِ وَالمَكَانِ، وَلَقَد اِختَارَ اللَّهُ -سُبحَانَهُ وَتَعَالَى- المَسجِدَ الأَقصَى المُبَارَكَ مَسرًى لِحَبِيبِهِ صلى الله عليه وسلم فَي أَشَدِّ وَأَحلَكِ الظُّرُوفِ الَّتِي مَرَّت بِهَا الدَّعوَةُ الإِسلَامِيَّةُ بِمَكَةَ -شَرَّفَهَا اللَّهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى- فَقَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: *"سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ"* [الإسراء: ١].

هَذَا..وَلَم يَنقَطِعِ الاهتِمَامُ بِالقُدسِ الشَّرِيفِ لَحظَةً وَاحِدَةً فِي تَارِيخِ وَحَضَارَةِ المُسلِمِينَ؛ فَفِي عَهدِ خَلِيفَةِ المُسلِمِينَ الرَّاشِدِ عُمَرِ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه فُتِحَت مَدِينَةُ القُدسِ عَامَ ١٦ مِن الهِجرَةِ، وَذَهَبَ سَيِّدُنَا

عُمَرُ بِنَفسِهِ لِاستِلَامِ مَفَاتِيحِ القُدسِ، وَصَلَّى رضي الله عنه خَارِجَ الكَنِيسَةِ عِندَمَا أَدرَكَتهُ الصَّلَاةُ، وَأَبَى أَن يُصَلِّيَ دَاخِلَ الكَنِيسَةِ حَتَّى لَا يُعطِي لِمَن بَعدَهُ مِن المُسلِمِينَ حَقًّا فِي اِستِلَابِ أَهلِ الكِتَابِ حَقَّهُم فِي مَعَابِدِهِم وَكَنَائِسِهِم، وَقَد أَعطَاهُم رضي الله عنه العُهدَةَ العُمَرِيَّةَ المَشهُورَةَ، فَأَمَّنَهُم عَلَى دِينِهِم وَعَقَائِدِهِم وَكَنَائِسِهِم وَمَعَابِدِهِم، وَهَكَذَا هُوَ الإِسلَامُ وَبِرُّهُ بِأَهلِ الأَديَانِ.

هَذَا.. وَتُعَدُّ العُهدَةُ العُمَرِيَّةُ كَوَثِيقَةٍ تَارِيخِيَّةٍ أَصلًا فِي حُقُوقِ الإِنسَانِ وَاحتِرَامِ الأَدِيَانِ وَالمُقَدَّسَاتِ، وَهِيَ مِن عَلَامَاتِ الرُّقِيِّ وَالحَضَارَةِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ الإِسلَامِيَّةِ، وَقَد بَنَى عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه مَسجِدَ المُسلِمِينَ دَاخِلَ حُدُودِ المَسجِدِ الأَقصَى، وَتَوَالَت حَرَكَاتُ التَّجدِيدِ وَالإِعمَارِ مُنذُ ذَلِكَ الوَقتِ؛ فَفِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ حَدَثَ تَجدِيدٌ، وَكَذَلِكَ بُنِيَ مَسجِدُ قُبَّةِ الصَّخرَةِ.

أَقُولُ: إِنَّ المَكَانَةَ العَظِيمَةَ الَّتِي أَعطَاهَا الإِسلَامُ لِلمَسجِدِ الأَقصَى وَلِمَدِينَةِ القُدسِ- شَرَّفَهَا اللهُ تَعَالَى- لَتُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ القُدسَ الشَّرِيفَ مَعلَمٌ مِن مَعَالِمِ الحَضَارَةِ العَرَبِيَّةِ وَالإِسلَامِيَّةِ.

وَالمَسجِدُ الأَقصَى مُتَجَذِّرٌ عَرَبِيًّا وَإِسلَامِيًّا فِي وِجدَانِ وَقَلبِ كُلِّ إِنسَانٍ عَرَبِيٍّ، وَفِي قَلبِ كُلِّ مُسلِمٍ، وَسَوفَ يَبقَى القُدسُ الشَّرِيفُ عُنوَانًا لِلحَضَارَةِ الإِسلَامِيَّةِ وَالعَرَبِيَّةِ، وَمَعلَمًا مِن مَعَالِمِهَا الَّتِي تَرَبَّت عَلَيهَا الأَجيَالُ، وَتَرِثُهَا الأَجيَالُ جِيلًا بَعدَ جِيلٍ -إِن شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى- وَسَوفَ يَأتِي اليَومُ الَّذِي تُستَرَدُّ فِيهِ الحُقُوقُ، وَتَعُودُ فِيهِ المُقَدَّسَاتُ إِلَى أَصحَابِهَا، وَيَتَآخَى فِيهَا أَصحَابُ الأَديَانِ السَّمَاوِيَّةِ بِلَا ظُلمٍ: "إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا"[المعارج: ٦ - ٧]، مَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ -تَعَالَى- بِعَزِيزٍ.

وَإِنَّ تَارِيخَ القَضِيَّةِ الفِلِسطِينِيَّةِ لَيَشهَدُ لِمِصرَ الكِنَانَةِ أَنَّهَا لَم وَلَن تَتَخَلَّى يَومًا عَن قَضِيَّةِ القُدسِ الشَّرِيفِ، وَلَن تَتَخَلَّى يَومًا عَن شَعبِ فِلِسطِينَ الحُرِّ الأَبِيِّ.

وَفَّقَكُم اللَّهُ -تَعَالَى- إِلَى مَا فِيهِ كُلُّ خَيرٍ وَكُلُّ عَونٍ لِإِخوَانِنَا فِي فِلِسطِينَ.

وَمَرَّةً أُخرَى أَتَقَدَّمُ بِخَالِصِ شُكرِي إِلَى فَضِيلَةِ الإِمَامِ الأَكبَرِ الدُّكتُورِ/أَحمَد الطَّيِّبِ - شَيخِ الأَزهَرِ الشَّرِيفِ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته